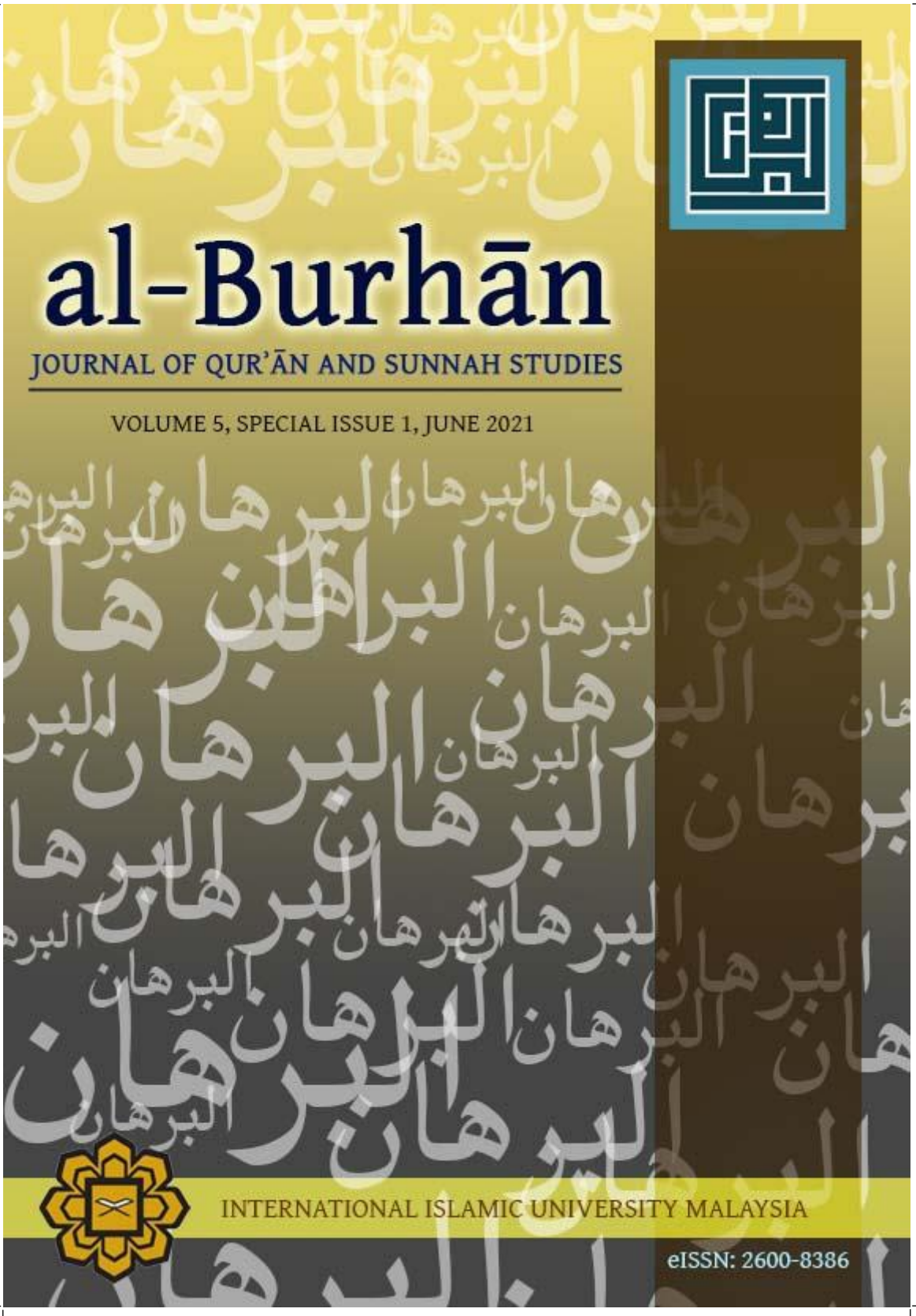
al-Burhān
JOURNAL OF QUR'ĀN AND SUNNAH STUDIES
VOLUME 5, SPECIAL ISSUE 1, JUNE 2021
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA
eISSN: 2600-8386

al-Burhān Journal of Qur'ān and Sunnah Studies

Kulliyyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences
International Islamic University Malaysia
Volume 5, Special Issue 1, 2021

Honorary Advisors:

Prof. Dr. Abdullah Saeed, *University of Melbourne, Australia.*
Prof. Dr. Abdul Hakim Ibrahim al-Matroudi, *SOAS, Univ. of London.*
Prof. Dr. Awad al-Khalaf, *University of Sharjah, United Arab Emirates.*
Prof. Dr. M. A. S. Abdel Haleem, *SOAS, Univ. of London.*
Prof. Dr. Mohamed Abullais al-Khayrabadi, *International Islamic University Malaysia*
Prof. Dr. Muhammad Mustaqim Mohd Zarif, *USIM, Malaysia.*
Prof. Dr. Serdar Demirel, *Ibn Haldun University, Istanbul, Turkey.*
Prof. Dr. Israr Ahmad Khan, *Social Sciences University of Ankara, Turkey.*

Editor-in-Chief : Dr. Khairil Husaini Bin Jamil, *International Islamic University Malaysia.*
Associate Editor : Dr. Muhammad Adli Musa, *International Islamic University Malaysia.*
Members of Editorial Board :

Dr. Haziyah Hussin, *Universiti Kebangsaan Malaysia (UKM).*
Dr. Muhammad Fawwaz Muhammad Yusoff, *Universiti Sains Islam Malaysia (USIM).*
Dr. Mukhiddine Shirinov, *Kista Folkhögskola, Sweden.*
Assoc. Prof. Dr. Nadzrah Ahmad, *International Islamic University Malaysia (IIUM).*
Dr. Rahile Kizilkaya Yilmaz, *Marmara University, Turkey.*
Dr. Umar Muhammad Noor, *Universiti Sains Malaysia (USM).*
Dr. Zunaidah Mohd. Marzuki, *International Islamic University Malaysia (IIUM).*

© 2021 IIUM Press, International Islamic University Malaysia. All rights reserved.

eISSN 2600-8386

Published Online by:
IIUM Press, International Islamic University Malaysia, P.O. Box 10, 50728 Kuala Lumpur, Malaysia.
Phone (+603) 6421 5014
Website: http://www.iium.edu.my/office/iiumpress

Correspondence:
Editorial Board, al-Burhān Journal,
Research Management Centre,
International Islamic University Malaysia,
P.O Box 10, 50728 Kuala Lumpur, Malaysia
Tel: (603) 6421 5541 / 6126
E-mail: alburhan@iium.edu.my
Website: https://journals.iium.edu.my/al-burhan/index.php/al-burhan/index

Indexing and Abstracting: al-Burhān is currently indexed in and abstracted by MyJurnal and Directory of Open Access Journal (DOAJ).

Disclaimer: The publisher and editorial board shall not be held responsible for errors or any consequences arising from the use of information contained in this journal; the views and opinions expressed do not necessarily reflect those of the editors and publisher.

al-Burhān Journal of Qur'ān and Sunnah Studies, 5: Spec. Issue 1 (2021) 14-31.
https://journals.iium.edu.my/al-burhan/index.php/al-burhan/index
Copyright © IIUM Press
e-ISSN 2600-8386

النص القرآني بين صحة التحليل وخطأ التأويل: دراسة وصفية تحليلية

Between Valid Analysis and Wrong Interpretation: A Descriptive Analytical Study of Approaches to Qur'anic Text

Mohd Syauqi Bin Arshad *

د. محمد شوقي بن أرشد

الملخص: النص القرآني نص رباني مقدس، جاء لبيان مراد الله من عباده، وكان النبي ﷺ السبيل الوحيد لبيان ما استُشكل على المسلمين في فهم ألفاظه ومعانيه، ثم رصيد لغوي أصيل يمتلكه المسلمون وقتئذٍ. بيد أن الأمر أصبح عسرًا، والطريق إلى فهم مراد القرآن أصبحت غير مُعبَّدةٍ على الرغم من أن الله جعل القرآن ميسَّرًا للذكر. والسبب في هذا الإعسار وفاة النبي ﷺ من جهة، ثم البون الزمني الشاسع بين وقت نزول القرآن وبداية عصر التدوين الذي قارب قرنين من الزمان تغيرت فيهما اللغة واتسعت مدلولاتـها وبعدت غير قليل عن الفصحى المتمكنة. وفي ظل هذا خرجت تفاسير كثيرة لبيان المعنى القرآني تنوعت بين اللغوي وما تفرع عنه من اختلافات بين النحاة في الإعراب وما يترتب عليه من معنى والتأويلي وما شابه من تعصب لمذهب سياسي أو ديني مما أضر بالمعنى القرآني وخفاء دلالته على العامة وكثير من أهل العلم. ولهذا؛ كان هذا البحث الموسوم بـ"النص القرآني بين صحة الخليل وخطأ التأويل" أحاول فيه بيان هذه الإشكالية متناولًا إياها حسب المنهج العلمي الصحيح، وسأتعرض لبعض التفاسير التي اعتمدت على اللغة لبيان المعنى، والأخرى التي اتخذت التأويل منهجًا في ذلك.

الكلمات المفتاحية: التفسير؛ التأويل؛ مشكل القرآن؛ الدراسات القرآنية؛ التفسير بالرأي، التفسير الإشاري.

ABSTRACT: The Qur'anic text is a sacred divine text which explains the will of God, and Prophet Muḥammad was the one who addressed any problems faced by the Muslims in understanding the text, in addition to the language competencies possessed by the Muslims of his time. However, complexities emerged post-Prophetic era even though God has made the Qur'ān easy for remembrance. The reason for this is the demise of the Prophet on the one hand, and the vast temporal gap between the time of the revelation and the beginning of codification, which took nearly two centuries, and during which the language underwent some changes and meaning of words was expanded. Due to this, many interpretations emerged due to linguistic and hermeneutical differences. Hence, this research aims to clarify this problem by addressing both linguistic and hermeneutical approaches in *tafsīr*.

Keywords & phrases: *Tafsīr; ta'wīl; mushkil al-Qur'ān; Quranic studies; speculative tafsīr; allegorical tafsīr.*

* Lecturer. Kulliyyah of Arabic Language, Sultan Abdul Halim Mu'adzam Shah International Islamic University. Email: syauqi@unishams.edu.my

المقدمة

إن الناظر في علم التفسير وكتب التفسير ليقف على ما لا مفر من القرار به ألا وهو وقوع الاختلاف في هذا التفسير، إذ إن وقوع الاختلاف في تفسير كتاب الله حقيقة لا ينكرها إلا مكابر أو عديم الاطلاع على كتب التفسير والمفسرين. ولقد اهتم المفسرون عبر مراحل تاريخ هذه الأمة بوضع القواعد المنهجية التي ترسموها في تفاسيرهم، وكشف الباحثون القناع عن أسس هذه المناهج وطرقها.

ومرت الحركة التفسيرية بأربعة مراحل:

١. مرحلة التأسيس: وهي المرحلة التي نشأ فيها التفسير، وتأسس، وكان بدايتها في عهد النبي ﷺ واستمرت على مدار القرون الثلاثة الأولى التي شهد لها النبي ﷺ بالخير والفضل.

٢. مرحلة التأصيل: وهي مرحلة التقعيد لعلم التفسير، وكانت في نهاية القرن الثالث، وإمام هذه المرحلة ابن جرير الطبري.

٣. مرحلة التفريع: وفيها انتقل التفسير من التأصيل إلى التفريع وفقًا للقضايا والأحداث، ولما برع فيه المفسر من علوم فظهر التفسير البياني، والعقلي واللغوي...وغيرها.

٤. مرحلة التجديد: وهي مرحلة قائمة على الاستفادة من العلوم المعاصرة، والتوسع في استخراج الدلالات القرآنية وإسقاطها مع ما يتناسب مع الواقع.

١. التأويل لغةً واصطلاحًا

١,١ التأويل في اللغة

تطالعنا معاجم اللغة العربية بمعنى التأويل المتضمن في ثنايا أبوابها وفصولها بعدة معانٍ:

١- المآل والرجوع: نقول: آل الشيء يؤول أوْلاً ومآلا: رجع.. وأوَّل الكتاب الكلام وتأوله وبرَّه، وقدَّره، وأوَّله وتأوَّله: فسَّرهُ.[1]

ومعنى هذا أن المؤَوِّل يردُّ الكلام إلى ما يمكن أن يحتمل من المعاني.

[1] Ibn Manẓūr, *Lisān al-ʿArab*, 11:32-33, the entry ʾ-*w*-*l*.

٢- الجمع والإصلاح: "أوَّلتُ الشيء" جمعته وأصلحته، والمعنى أن التأويل يجمع المعاني المشكِلة بلفظ واضح لا إشكال فيه.

٣- السياسة: فالإيالة السياسة، لآن الرعية ترجع الأمور وتعيدها وتردها إلى راعيها، وقولهم: آل الحاكم رعيته: إذا أحسن سياستها. وآل الرجل: أهل بيته، لأنهم في مآلهم ومرجعهم ينتهون إليه.

وعليه، فإن التأويل هو ردُّ الشيء إلى الغاية المرادة منه، علمًا كان أو فعلًا، ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٥٩﴾ [النساء: ٥٩][2]

ويوجز الزركشي (ت٧٩٤ه) هذه المعاني بقوله: "وأما التأويل فأصله في اللغة من الأوْل، ومعنى قولهم: ما تأويل هذا الكلام؟ أي: إلام تؤول العاقبة في المراد به. كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٣] أي: تكشف عاقبتُه، ويقال: آل الأمر إلى كذا، أي صار إليه، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝٨٢﴾ [الكهف:٨٢].

وأصله من المآل، وهو العاقبة والمصير، وقد أوَّلتهُ فآل، أي: صرفته فانصرف، فكأن التأويل صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني.. وقيل: أصله من الإيالة، وهي السياسة، فكأن المؤوِّل للكلام يُسوِّي الكلام، ويضع المعنى في موضعه."[3]

١,٢ التأويل اصطلاحًا

تعددت دلالات التأويل ومقصوده عند علماء التفسير خاصة الأوائل المتقدمين منهم فيرى ابن تيمية أن للتأويل معنيين في لفظ السلف:

الأول: تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق ظاهره أو خالفه، فيكون التفسير والتأويل عند هؤلاء متقاربًا أو مترادفًا".[4]

ولعل الطبري كان يعني ذلك حينما كان يكثر من قوله في تفسيره: القول في تأويل قوله كذا وكذا.

---

[2] Ibn Fāris, *Muʿjam Maqāyīs al-Lughah*, the entry *ʾ-w-l*.

[3] al-Zarkashī, *al-Burhān Fī ʿUlūm al-Qurʾān*, 3:148-149.

[4] Ibn Taymiyyah, *al-Iklīl Fī al-Mutashābih Wa al-Taʾwīl*, 26–32.

الثاني: نفس المراد بالكلام، فإذا كان الكلام طلبًا كان تأويله: نفس الفعل المطلوب. وإن كان الكلام خبرًا، كان تأويله: نفس لشيء المخبر به.

والواقع أن هناك فرقًا بين المعنيين: فالأول يعني العلم بمعنى الكلام أي تفسيره. والثاني التأويل معناه نفس الأمور الموجودة على حقيقتها في الواقع. وعلى هذا المعنى يكون تأويل الكلام هو وجود معناه وجودًا ماديًّا عينيا واقعيًّا.

غير أن العلماء الذين جاؤوا من بعد، كانوا يفرقون تفريقًا جليًّا بين المصطلحين. فقد "كان اصطلاح (تأويل) مرادفًا في الصل لاصطلاح (تفسير)، لكنه أصبح بمرور الوقت الاصطلاح الفني الذي يطلق على مادة القرآن، أي: مضمونه، بينما أطلقت كلمة (تفسير) بعد ذلك على الشرح اللغوي الظاهر."[٥]

٢. النص القرآني وبدايات التأويل

٢,١ التأويل اللغوي

سيظل السؤال الذي يحتاج إلى إجابة مقنعة، وحجة قوية هو: لماذا احتاج المسلمون إلى التفسير اللغوي للقرآن الكريم بعد نزوله بما يقارب مائتي سنة؟

ويمكن أن يطرح السؤال بصيغة أكثر جرأة وهي: لماذا لم يحتج الرسول ﷺ إلى تفسير القرآن، وقد كان يخاطب أبا لهب، وأبا جهل وغيرهما.. وعلى الرغم من ذلك فهموه، ولم يتعللوا بعدم فهمه ليكون سببًا لتبرير كفرهم به، بل كانوا يأمرون أتباعهم بألا يسمعوا لهذا القرآن: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

فهل استطاعت الدلالة اللغوية أن تقوم بدورها في فهم معاني القرآن؟

٢,٢ الدلالة اللغوية وفهم المعنى القرآني

لا ريب أن الدلالة اللغوية عماد ركين عند المفسرين لفهم النص القرآني، حيث تعددت آراؤهم، وتنوعت مواقفهم من فهم دلالة اللفظ القرآني.

---

[5] Gibb and Kramers, *al-Mawsūʿah al-Islāmiyyah al-Muyassarah*, 1:193.

الملاحظ في القرآن الكريم أنه حينما أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ حمل الألفاظ العربية معاني لم تكن معهودة عند الإنسان العربي القديم. نعم، إنه نزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥] ولكن عربيته كانت جديدة في كل شيء قام ببيانه.

إن الذي أبهر العربي وهو يسمع القرآن الكريم إضافة إلى أسلوبه الرائع هو المعاني الجديدة التي استعمل فيها القرآن الكريم الألفاظ التي يعرفها العربي، ولكن حين استعملت في سياق القرآن الكريم أعطت دلالات لم يعهدها العربي في كلامه. إنها معاني قال عنها القرآن الكريم: (﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ﴾ [هود: ٤٩] وهي معان نزلت من السماء لإصلاح حال أهل الأرض.

يوضح الدكتور إبراهيم أصبان أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، الدار البيضاء رأيه في ذلك الأمر فيقول:

> "إن القرآن قد أحدث قفزة كبيرة في استعمال الألفاظ العربية، وذلك بتحويل دلالة ألفاظ اللغة العربية من الاستعمال العربي البسيط إلى نسق مخالف لاستعمال الشاعر الجاهلي والأديب الجاهلي، ولهذا فإن الدعاوى التي تدعو إلى تفسير ألفاظ القرآن الكريم بالرجوع إلى اللغة والشعر الجاهلي وحدهما دعاوى ضعيفة تحتاج إلى حجة، ويستدلون على ذلك بأن القرآن عربي، وأن الإنسان العربي قد فهم القرآن دون حاجة إلى ضوابط تفسيرية. ويستدلون أيضا بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أيها الناس تمسكوا بديوان شعركم في جاهليتكم، فإن فيه تفسير كتابكم."[٦]

إنني لا أنفي قيمة هذا الشعر وأثره في فهم ألفاظ القرآن الكريم، بل أقول إنه مستوى واحد فقط من مستويات تحليل الخطاب القرآني. فلا يمكن الاعتماد عليه وحده دون وضع النص الذي نريد تفسيره في السياق العام للشريعة الإسلامية بما في ذلك القرآن والحديث النبوي الشريف.

إن اللغويين الذين حاولوا تفسير القرآن الكريم بمعزل عن مراعاة السياق الذي استعمل فيه القرآن الكلمة وقعوا في أخطاء جسيمة.[٧]

---

[6] al-Shāṭibī, *al-Muwāfaqāt*, 2:88; see the introductory remark for Unknown, *Gharīb al-Qur'ān Fī Shi'r al-ʿArab: Su'ālāt Nāfiʿ al-Azraq Ilā ʿAbd Allāh Ibn ʿAbbās*.

[7] Aṣbān, "Arabiyyat al-Qur'ān al-Karīm'.

وقد يوضع اللفظ في اللغة لمعنى معين أو يدل عليه لغة وإن لم يوضع له، لكن مراد الله تعالى قد يكون غير ذلك والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها:

قال أبو عبيد معمر بن المثنى في كتابه «مجاز القرآن» عندما أراد تفسير قول الله تعالى: ﴿وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ۝٢٩﴾ [الواقعة: ٢٩]، قال: زعم المفسرون أنه الموز، وأما العرب الطلح عندهم شجر عظيم كثير الشوك.

وقال الحادي:

بشَّرهَا دليلُها وقالا.... غدا تريْن الطلحَ والحبالا[8]

إن صاحب مجاز القرآن فسر اللفظة تفسيرًا لغويًّا بحتًا، ولم يراع الاستعمال القرآني للكلمة ولا السياق الذي وردت فيه. ولو أنه استعمل المنهج السياقي في التفسير ونظر إلى السابق واللاحق لعلم أن الآية مسوقة مساق الامتنان؛ فالله تعالى ذكر مننه العظيمة على عباده المؤمنين في الجنة، فكيف يمتن عليهم بشجر كثير الشوك، فالشوك لا يعد من النعم في شيء.

وفي ظلّ التراكم المعلوماتي الحادث في عصرنا هذا، وفي ظلّ تطوّر علوم اللغة واللسانيات وتشعّبها، وفي ظلّ ما يسمّيه البعض "ضرورات العصر" وضمن سياق ما يسمّى "تجديد الخطاب الديني"؛ تُطرح إشكالية "تأويل القرآن" ويُنادى بإعادة تأويله بشكل مجرّد عن أي سياق تاريخي، و"السياق" هنا يشمل روايات السنة النبوية والسيرة ومرويات الصحابة ومن تبعهم من أئمة القرون الأولى. في هذه الأجواء تكون "اللغة" من وجهة نظرهم هي المفتاح.

لقد انطلقت هذه الدعوات إلى التفسير باللغة لفهم النص القرآني من محور عربية القرآن، إذ هو قد نزل بلسان عربي مبين، فالأمر إذن لا يحتاج إلا أن نغوص في أعماق اللغة العربية وألفاظها لنستطيع فهم وإدراك معاني الكتاب الحكيم.

إننا لا يمكن أن نسلِّمَ بهذا الرأي، وذاك الاتجاه، فالقرآن الكريم نصٌّ مختلف عن كافة النصوص التي تناولتها اللغة العربية، إنه نص ملتحم مع السياقات الزمانية والمكانية والحياتية للواقع والحياة. إنه مرتبط بكافة الأحداث سواء سياسية، أو اجتماعية، أو نفسية، أو تاريخية، فقد استغرق زمن نزوله ثلاثا وعشرين سنة... إنها سنوات مستغرقة في الحياة بكل تفاصيلها ودقائقها...فالزمن والمكان ركنان أساسيان في فهم معاني القرآن الكريم.

[8] Abū ʿUbaydah, *Majāz al-Qur'ān*, 2:250.

إنّ القرآن نفسه يرفض فكرة النصّ المجرّد الذي يأتي جملة واحدة، معزولًا عن معترك الحياة وملابساتها، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢﴾ [الفرقان: ٣٢]. فهو بالتحامه هذا بوقائع الدعوة النبوية يثبّتُ فؤاد النبيّ "باتصال الوحي ومداومة نزول القرآن، فلا تصير بانقطاع الوحي مستوحشا" كما يقول الماوردي في تفسيره.

في هذا السياق يكون فهم أسباب النزول وفهم السيرة النبوية من أولويات فهم كتاب الله، فكيف تفهم رسالة لا تعرف سيرة من حملها؟ وكيف تعرف سيرته وأنت مُعرض عن المصادر التي نقلت تلك السيرة؟ وكيف تفهم العبرة المستفادة من عشرات الآيات، بل المئات وأنت لا تعرف في أيّ شيءٍ نزلت؟ من هنا يتّضح أنّ الإعراض عن مرويّات السنة ومرويات الصحابة ومن تبعهم في تفسير القرآن هو تصرّف غير علمي وبعيد غاية البعد عن القراءة العلمية الموضوعية التي تهدف إلى معرفة مقاصد القرآن والقيم والأحكام التي يحملها.

إن المشكلة الحقيقية في الاعتماد على التفسير اللغوي لفهم معاني القرآن بعيدًا عن السياقات الزمانية والمكانية هي أن اصطلاحات ألفاظ اللغة تتمدد في مجال رحب فسيح من الدلالات والمعاني، هذه الدلالات قد تتنوع للفظ واحد ما أرجحه في معانيها بين الشرع تارة، واللغة تارة ثانية، والعرف تارة ثالثة.

فلفظ الدابة مثلًا في اصطلاح اللغة: كلّ ما يدبّ على الأرض، سواء كان عاقلًا أو غير عاقل، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٤٥﴾ [النور: ٤٥]. وفي الاصطلاح العرفي: ما يُركب من الدواب التي نعرفها. وقد يكون المقصود منها في الاصطلاح الشرعي دابّة الأرض التي هي من علامات الساعة كما في قوله تعالى: ﴿۞وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ٨٢﴾ [النمل: ٨٢]. أرأيتَ لو فسّرتَ دابّة الأرض في هذه الآية تفسيرًا لغويًّا فقط، بعيدًا عن الروايات التي تصفها، فهل سنصل إلى المعنى المراد؟

ويدلل إبراهيم أصبان على ذلك بمثال من القرآن الكريم فيقول:

> "كان العرب يعرفون كلمة (اقرأ) والمعنى القراءة، ولكن المراد بهذه اللفظة في الآيات لا علاقة له بمعرفتهم هذه، فالأمر (اقرأ) أمر إلهي، وهو موجه إلى من لا يعرف القراءة ولا الكتابة بالمفهوم اللغوي، وقد وضع الوحي بين يديه مادة القراءة، فإذا هي معان لا تمت إلى مذخور العقل العربي بصلة ما، وذلك متمثل في الربط البديع بين القراءة واسم الرب الخالق، وقد كانت للعرب الجاهليين فكرة عن الإله مشوشة مغلوطة، تختلط بفكرة الوثنية المشركة، فلا ريب أن مسافة هائلة كانت تفصل بين فكرتهم هذه، وبين ما دعي إليه

> محمد صلى الله عليه وسلم في هذه اللحظة الإلهية من القراءة باسم الرب الخالق، شيء غريب على العقلية العربية الجاهلية، وهو شديد الغرابة إذ استمرت الآيات فذكرت (خلق الإنسان من علق) الألفاظ سهلة مأنوسة، ولكن المعنى جديد تمامًا، بل إن هذا المعنى بقي جديدًا حتى الآن، يحاول العلم أن يصل إلى أسرار هذه العلقة، فيتكشف له كل يوم جديد دون أن يتصور أنه واصل إلى غاية هذا المعنى القرآني، عن أصل الإنسان اللغز الأبدي."[9]

إن النظر إلى الاستعمال السياقي لا ينفك عنه اللغوي الذي يقصد بيان الألفاظ القرآن وعربيته، بله مفسرو السلف الذين يكثر في تفسيرهم الاعتناء ببيان المعاني دون تحرير الألفاظ من جهة اللغة، ومن أمثلة ذلك تفسير أبي عبيدة كمعمر بن المثنى البصري (ت: ٢١٠) لقوله تعالى: ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ﴾ [البقرة: ١٩١]، قال: أي: الكفر أشدُّ من القتل في أشهر الحرُمِ؛ يقال: رجلٌ مفتونٌ في دينه؛ أي: كافر.[10]

ولو ذهب أبو عبيدة إلى التفسير اللغوي، لقال: الفتنة: الامتحان والاختبار، لكنه ذهب إلى تفسير المراد بالفتنة في هذا السياق، وهو الكفر.

ومن المحاذير التي يوقع فيها منهج الاعتماد على المعاني اللغوية مع إغفال المعاني الشرعية التي دلّ عليها الوحي أنّه يحرّف الكثير من المفاهيم الشرعية الخطيرة، ولنأخذ على سبيل المثال مفهومين على غاية من الخطورة والأهمية: مفهوم الإيمان، ومفهوم الولاء.

أما مفهوم الإيمان، فقد قالت بعض الفرق إنّه "التصديق" فحسب، باعتبار أنّ هذا هو معناه اللغوي. ومن ثمّ أصبح التكليف الشرعي الذي سمّاه الله في كتابه إيمانًا هو مجرّد التصديق. مع أنّ الإيمان المطلوب شرعًا للنجاة الأخروية هو شيء زائد على التصديق في كتاب الله، فلا يدخل الجنّة مشركٌ كما تدلّ الكثير من الآيات، ومع أنّ القرآن ذكر أقوامًا صدّقوا بالله ﷻ وبرسله، ولكنّهم كانوا رافضين لرسالاته جحودًا، كما قال تعالى حكاية عن المشركين: ﴿فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ٣٣﴾ [الأنعام: ٣٣]. وقد أثبت سبحانه الإيمان اللغوي لقوم مشركين فقال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦]، فهل يُقال عن هؤلاء إنهم مؤمنون يدخلون الجنّة؟ أم نقول كما قال الله ﷻ في كتابه إنّ البراءة من الشرك هي شرط دخول الجنة كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].

---

[9] Aṣbān, "Arabiyyat al-Qurʾān al-Karīm'.

[10] Abū ʿUbaydah, *Majāz al-Qurʾān*, 1:68.

فتصوّروا كيف سيتمّ اختزال الإيمان الإسلامي ومضامينه القرآنية حين يكون المطلوب لدخول الجنّة هو مجرّد التصديق، حتى قال أحد الدعاة المعاصرين إنّه يكفي أهل الكتاب تصديق الرسول ﷺ ليدخلوا الجنّة بحسب دين الإسلام، مع أنّ الله عز وجلّ يقول: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٧]. فاشترط سبحانه عليهم نصرته واتّباع ما جاء به من عند الله كي يفلحوا، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [النساء: ٦٤].

هذا هو الإعجاز القرآني الذي منح اللفظ العربي امتدادًا في المدلول فأحدث ثورة لغوية لم تشهدها لغة من لغات البشر. وقد وقع التطور في اللغة العربية في صورة انتقالات على خيط المعنى الممتد من استعمال الجاهلية إلى استعمال القرآن.[11]

إنّ المتأمّل في لهجاتنا المعاصرة المتنوّعة، سيدرك تمام الإدراك بأنّ سبيل معرفة المعاني والدلالات فيها ليس هو البحث اللغوي، أي ليس البحث عن الجذر اللغوي للألفاظ. بل هو البحث في السياق المجتمعي لغة. فلو أنّ شخصًا ما ذهبَ إلى إحدى البلدات التي لها لهجة خاصة، فإذا سمع كلمة منهم سألهم هُم ماذا تعني هذه الكلمة؟ ولن يلجأ للقاموس وإلا سيأتي بالمضحكات.

لم يكن الهدف من هذا البحث الدعوة إلى نبذ التفسير اللغوي، وإنّما تفنيد النظرية التي تدعو إلى استقلال تفسيرنا للقرآن باللغة، ونبذ ما سوى ذلك من مسالك علمية لمعرفة المعاني والأحكام التي يحويها كتاب الله. فهي نظرية بائسة لا تنطلق من تفكير علمي موضوعي، بل دافعُها – في رأيي – أهواء تهدف إلى تمييع النصّ القرآني وجعله طيّعًا في أيدي أصحاب هذا الطرح يذهبون به كل مذهب ويضعونه على أي معنى يريدون. فهم يلجؤون إلى المعنى اللغوي للكلمات، لِعِلْمهم بأنّ لسان العرب واسع، تجدُ للكلمة الواحدة فيه العديد من المعاني والاستعمالات، ويُعينهم على ذلك الطبيعة الاشتقاقية للّغة العربية، حيث يمكن بالنزول إلى الجذر للأسفل، ثم العودة للأعلى باتجاه آخر؛ العثورُ على معانٍ جديدة وإلصاقها باللفظ الوارد في النصّ القرآني، ومن ثم الخروج بتفسير جديد تمامًا للنصّ، مما يؤدي إلى تحريفه.

هذا، ولما فشلت اللغة بنحوها ومعاجمها في إصابة المعنى فاتجه المفسرون إلى الأخبار.

[11] Shāhīn, *al-ʿArabiyyah Lughat al-ʿUlūm Wa al-Taqniyah*, 59.

٣. التأويل وانحرافات التفسير

إن المشكلة الحقيقية لكتب التفسير تكمن في أن كثيرًا من المسلمين ينظرون إليها بعين القداسة، على الرغم من بشرية أصحابها.. والحقيقة أن "الكثير منها لا يخلو من اتجاهات منحرفة في فهم النص القرآني، وتأويلات باطلة، بعضها متكلف مرذول، يمجه الذوق السليم، وتأباه بلاغة القرآن الكريم."[١٢]

ولا شك أنه كان هناك فجوة بين لغة النص القرآني الأم ولغة المفسرين بعد ذلك، تفاوتت في مراحلها:

- مرحلة الرواية: وتبدأ من عهد النبي ﷺ وحتى تابعي التابعين، وفي هذه المرحلة لم تكن الفجوة قد ظهرت، ذلك أن النبي ﷺ قد فهم القرآن الكريم فهمًا كاملًا جملة وتفصيلًا، بعد أن تكفل الله ﷻ بالحفظ والبيان ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٧-١٩].
- ثم جاء عصر التابعين، فكان منهم من تصدى لتفسير القرآن الكريم، فروى ما تجمع لديه من ذلك عن رسول الله ﷺ عن الصحابة، وزاد على ذلك برأيه واجتهاده بمقدار ما زاد من الغموض الذي كان يتزايد كلما بَعُد الناس عن عصر النبي ﷺ والصحابة.
- مرحلة التدوين: وتبدأ هذه المرحلة من نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري، واتخذ التفسير فيها عدة خطوات:

الأولى: كان جمع التفسير جمعًا لباب من أبواب الحديث، ولم يكن جمعًا للتفسير على أنه علم مستقل قائم بذاته.

الثانية: وفيها انفصل التفسير عن الحديث وأصبح علمًا قائمًا بنفسه، فوضع التفسير لكل آية من القرآن، ورتب ذلك حسب ترتيب المصحف. وكل هذه التفاسير مروية بالإسناد إلى رسول الله ﷺ، وإلى الصحابة والتابعين وتابعيهم. ولم يزد على أنه تفسير بالمأثور.

الثالثة: وفيها لم يخرج التفسير عن التفسير بالمأثور، لكنه خرج عن طابعه المألوف وهو تدوين المأثورات بأسانيدها. لكن حدث أن اختصرت الأسانيد، فدخل الوضع في التفسير، والتبس الصحيح بالعليل.

---

[12] al-Dhahabī, *al-Ittijāhāt al-Munḥarifah Fī Tafsīr al-Qur'ān al-Karīm Dawāfi'uhā Wa Daf'uhā*, 7.

الرابعة: وتمتد من العصر العباسي حتى اليوم، وفيها يختلط الفهم العقلي بالتفسير النقلي فهي محاولات فهم شخصي، وترجيح بعض الأقوال على بعض بالرجوع إلى حدود اللغة ودلالات الكلمة القرآنية... بيد أن هذه المحاولات امتدت وتشعبت وسائلها المتمثلة في العلوم والمعارف والعقائد المختلفة والمتباينة... مما حدا بها في النهاية إلى الشطط والفشل في بيان معاني النص القرآني.

ويظهر من هذا أن مشكلة التفسير بدأت بعد عصر التدوين والتباعد الزمني واللغوي بين عصر النبوة وعصر التدوين حيث بدأت مرحلة التدوين، ونشطت لتشمل علوم اللغة والنحو والصرف، وكتب الفلسفة، كما تعددت المذاهب الفقهية والعقدية، وهي – ولا شك – تَعجُّ بكثير الآراء، والاختلافات مصحوبًا ذلك كله بالنزعة المذهبية والنعرة التعصبية، كل يميل إلى مذهبه، ونتج عن هذا أن اختلط كل هذا بالتفسير محولًا مراد اللفظ القرآني إلى غير معناه، فلا صوت يعلو فوق صوت العقل ... ومما زاد الطين بِلَّة والمرض عِلَّة غلبة التخصص على التفسير فصار النحوي يصرف جُلَّ همه في الإعراب ومسائل الخلاف كما فعل أبو حيان في "البحر المحيط" والفلسفة، وأقوال الحكماء كما عند فخر الرازي في "مفاتيح الغيب" وهكذا الحال مع الفقه، والتاريخ، والتصوف.

"ولو أن هؤلاء جميعًا حين خاضوا في تفسير القرآن الكريم، لم ينظروا إليه من خلال نزعاتهم وأهوائهم، وراعوا، قوانين التفسير التي لا يجوز تخطيها، ما رأينا هذه الاتجاهات المنحرفة التي لا تخضع إلا لمجرد الهوى والاستحسان."[١٣]

٤. التفسير بالرأي وفهم المعنى القرآني

وهو التفسير القائم على اجتهاد التابعين للصحابة ومن جاء بعدهم من العلماء الأتقياء ذوى الفطن وهم الذين اتخذوا من سعة علومهم باللغة وإلمامهم بأصول الشريعة وفهمهم لروح الدعوة الاسلامية اتخذوا من ذلك وسيلة للتمحيص والتخريج واستنباط آراء وشروح مفصلة لقضايا وردت في القرآن بطريق الاشارة إليها أو الاجمال لها، وقد فتح ذلك باب التفكر والتدبر في آيات الله وعدم الاقتصار على ظواهرها وعلى آراء السلف فقط في تفسيرها بل حاولوا الاجتهاد والتعمق في فهمها واستخراج المعاني الدقيقة المنطوية عليها بحيث لا يخالف هذا الاجتهاد روح الشريعة وأهدافها.

[13] al-Dhahabī, 19.

وقد أجاز هذا التفسير بالرأي الإمام الغزالي وغيره ما دام الرأي لا يخالف القرآن ولا يعارض السنة النبوية ويحقق ما أمر به الله في قوله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]. وفي هذا تحريض على التدبر والتفكر في القرآن بقلوب مفتوحة وعقول مستنيرة غير مغلقة.

وأنه على الرغم من الدعوة إلى تعقل آيات الله والتعمق في معانيها إلا أن هناك من المحاذير ما يمنع، بل يحرم تحريمًا باتًّا استعمال الرأي إذا كان هذا الرأي نابعًا عن هوى شخصي في نفس المفسر ما يتنافى مع الشرع ويأباه العرف، أو كان رأيًا صادرًا عن تحميل الآيات ما لا تتحمله لإقرار مذهب معين يتعصب له المفسر ويقحمه إقحامًا لا مبرر له أصلًا في نصوص الآيات لأن ذلك يفتح أمام القلوب المريضة المجالات للتهجم على القرآن بما لم ينزل به الله سلطانًا.

وقد نقل السيوطي عن الزركشي "في البرهان" خلاصة الشروط التي لا بد منها لإباحة التفسير بالرأي، فرآها تندرج تحت أربعة:[14]

الأول: النقل عن رسول الله ﷺ مع التحرز عن الضعيف والموضوع.

الثاني: الأخذ بقول الصحابي، فقد قيل: إنه في حكم المرفوع مطلقًا، وخصه بعضهم بأسباب النزول ونحوها مما لا مجال للرأي فيه.

الثالث: الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات إلى ما لا يدل عليه الكثير من كلام العرب.

الرابع: الأخذ بما يقتضيه الكلام، ويدل عليه قانون الشرع. وهذا النوع الرابع هو الذي دعا به النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس في قوله: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل".

والمتأمل في هذا النوع من التفسير يجد أنه ينطوي على خطورة بالغة، ومرد تلك الخطورة راجع إلى خطأ هذا التفسير، الذي يريد صاحبه أن يحمِّل ألفاظ القرآن الكريم على ما اعتقده من معاني اللغة العربية، ويقرر هذا المعنى كونه أحد معاني اللغة العربية دون أن يضع في اعتباره حال المنزَّل عليه القرآن والمخاطب به أيضا.

ويتخذ هذا الخطأ أشكالًا وصورًا، فلأول منها أن المعنى سواء كان مثبتًا أو منفيًّا يكون صوابًا مع أن لفظ القرآن لا يدل عليه، ويكثر هذا في تفسير المتصوفة، ومن هذا ما جاء في تفسير السلمي (حقائق التفسير) في تفسيره

[14] al-Suyūṭī, *al-Itqān Fī ʿUlum al-Qur'ān*, 2:304; al-Zarkashī, *al-Burhān Fī ʿUlūm al-Qur'ān*, 2:156-161.

لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦]. فيقول: اقتلوا أنفسكم بمخالفة هواها، أو اخرجوا من دياركم، أي: أخرجوا حب الدنيا من قلوبكم." [15]

فهذا المعنى – لا شك – صحيح في ذاته، لكنَّ مراد الآية الظاهر غير هذا. وكأنهم يقولون: إن المعاني الظاهرة غير مرادة.

وقد يكون المعنى المراد تأويله خطأ لكن المفسر يحمل عليه لفظ القرآن مع عدم دلالة اللفظ عليه تمامًا، كما جاء في تفسير ابن عربي فيما عرف بوحدة الوجود، فيقول في سورة المزمل: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨﴾ [المزمل: ٨]) حيث قال ما نصه: واذكر اسم ربك الذي هو أنت. [16]

أو كما يفسر غلاة الشيعة بأن المقصود من قوله تعالى: "الجبت والطاغوت" بأنهما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

ومن أمثلة تفاسيرهم وتأويلاتهم ما ورد مرويًّا عن الإمام الباقر في شرح قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ۝٨٩ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ [النمل: ٨٩–٩٠] أنه فسر الحسنة بأنها هي معرفة الإمام وحب آل البيت وأن السيئة هي إنكار الإمام وبغض آل البيت، وكذلك ما روي عن جعفر الصادق في قوله: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] أنه فسرها بأن أعمال الناس تعرض على الأئمة من آل البيت.

وعن هذا يقول الطاهر بن عاشور عن هذه الطائفة:

> "التزمت تفسير القرآن بما يوافق هواها، وصرفوا ألفاظ القرآن عن ظواهرها بما سموه الباطن، وزعموا أن القرآن إنما نزل متضمنًا لكنايات ورموز عن أغراض، وأصل هؤلاء طائفة من غلاة الشيعة عرفوا عند أهل العلم بالباطنية فلقبوهم بالوصف الذي عرفوهم به، وهم يعرفون عند المؤرخين بالإسماعيلية لأنهم ينسبون مذهبهم إلى جعفر بن إسماعيل الصادق، ويعتقدون عصمته وإمامته بعد أبيه بالوصاية، ويرون أن لا بد للمسلمين من إمام هدى من آل البيت هو الذي يقيم الدين، ويبين مراد الله." [17]

[15] al-Sulamī, *Ḥaqā'iq al-Tafsīr*.

[16] Ibn al-ʿArabī, *Tafsīr al-Qur'ān al-Karīm*.

[17] Ibn ʿĀshūr, *Tafsīr al-Taḥrīr Wa al-Tanwīr*, 1:23.

وتفاسير الفرق الإسلامية المختلفة ترجع – في الحقيقة – إلى التفسير بالرأي، غير أنها تدخل في النوع المذموم منه، لأن أصحابها لم يؤلفوها إلا لتأييد أهوائهم، أو الانتصار لمذاويقهم ومواجيدهم، من ذلك تفاسير المعتزلة والمتصوفة والباطنية.[١٨]

٥. التفسير الإشاري وفهم المعنى القرآني

والتفسير الصوفي يعتمد أساسًا على أن للقرآن ظاهرًا وباطنًا، ويقصد بالظاهر الشريعة وبالباطن الحقيقة، وعلم الشريعة علم المجاهدة، وعلم الحقيقة علم الهداية، وعلم الشريعة علم الآداب وعلم الحقيقة علم الأحوال، وعلم الشريعة يعلمه علماء الشريعة وعلم الحقيقة يعلمه العلماء بالله، يقول السلمي في مقدمة تفسيره عن الباعث لإقدامه على كتابة تفسير القرآن:

> "لما رأيت المتوسمين بعلوم الظاهر قد سبقوا في أنواع فرائد القرآن، من قراءات وتفاسير ومشكلات وأحكام وإعراب ولغة ومجمل ومفصل وناسخ ومنسوخ، ولم يشتغل أحد منهم بفهم الخطاب على لسان أهل الحقيقة إلا آيات متفرقة، أحببت أن أجمع حروفًا أستحسنها من ذلك وأضم أقوال مشايخ أهل الحقيقة إلى ذلك وأرتبه على السور حسب وسعي وطاقتي."[١٩]

ويقول سهل بن عبد الله التستري في تفسيره: "ما من آية في القرآن إلا ولها أربعة معان، ظاهر وباطن وحد ومطلع." [٢٠]

ومنه أيضا تفسير لطائف الإشارات للقشيري، ويرى فيه أن الله أجرى إشارات لفهم معاني القرآن على قلوب أهل المعرفة: "وكتابنا هذا يأتي على طرف من إشارات القرآن على لسان أهل المعرفة إما من معاني قولهم أو قضايا أصولهم، سلكنا فيه طريق الإقلال خشية الملال مستمدين من الله تعالى عوائد المنة، متبرئين من الحول والمنة مستعصمين من الخطأ والخلل، مستوثقين لأصوب القول والعمل."[21]

والملاحظ أن السمة الغالبة في التفسير الإشاري لدى الصوفية تتضح فيما يلي :

---

[18] al-Ṣāliḥ, *Mabāḥith Fī ʿUlūm al-Qur'ān*.

[19] al-Tikrītī, 'Tafsīr al-Qurʾān al-Karīm ʿalā Ṭarīqat al-Ṣūfiyyah: Haqāʾiq al-Tafsīr Li Abī ʿAbd al-Raḥmān Muḥammad Ibn al-Ḥusayn al-Azdī al-Sulamī (412H)', 22.

[20] al-Tustarī, *Tafsīr al-Qur'ān al-ʿAẓīm*, 61.

[21] al-Qushayrī, *Latā'if al-Ishārāt*, 1:14.

أولًا: أن للقرآن ظاهرًا وباطنًا، وأن الظاهر للعوام والباطن لا يدركه إلا الخواص وإدراك الخواص هو فيض إلهي ينير بصائرهم، ويكشف لهم عن معارف لدنية مباشرة .

ثانيًا: أن العلم بالقرآن على هذا النحو يفترق عن العلوم القرآنية الأخرى في بدايته وفى طرائقه وفي غاياته، فضلًا عن أنه يفترق عن سائر العلوم بضرورة العمل، فالعالم لا بد أن يكون عاملًا وعمله هو جهاده ورياضاته فضلًا عن تزكية النفوس وتطهير القلوب والحث على التحلي بالأخلاق الفاضلة.

ثالثًا: أن التفسير الإشاري وإن كان يعتمد على ما وراء العبارة الظاهرية إلا أنه لم تخل من بعض ما نقل من الآثار على النحو المذكور في التفسير بالمأثور أو التفسير بالرأي بالطريقة الاستنباطية، أو تفسيرات تعتمد على معاني الألفاظ والتفسيرات البلاغية.

رابعًا: تتعرض هذه التفسيرات لكثير من المعاني والمصطلحات الصوفية التي تكشف عن طريقتهم وتجربتهم، لا سيما أنهم يوجهون الآيات كشواهد لهذه الرموز والمصطلحات.

خامسًا: معاني تفسيراتهم لا يصل إليها الإنسان العادي إلا بمشقة وعنت، وهناك معان مشكلة تصل في بعض الأحيان إلى الكفر والزندقة.

سادسًا: يشوب هذه التفسيرات كثير من الانحرافات العقدية وغيرها فيما يتعلق بصحيح الدين فهي لم تسلم من الإسرائيليات، والاستشهاد بغير القرآن والسنة، ولم تتبع الدقة في تحري ثبوت الحديث، أو مراعاة التعليق على الأسانيد، وكذلك لم تخل من فكر باطني.[٢٢]

والسؤال الآن ... هل استطاعت التفسيرات الإشارية أن تبين المعنى القرآني الذي أراده اللفظ القرآني؟ وهل يمكن أن نقبل هذه التفسيرات الإشارية التي لا تزيد الأمر إلا صعوبة في فهم المعنى؟

حول هذا السؤال يقرر محمد حسين الذهبي أن الأدلة مجتمعة تعطينا أن القرآن الكريم له ظهر وبطن، ظهر يفهمه كل من يعرف اللسان العربي، وبطن يفهمه أصحاب الموهبة وأرباب البصائر، غير أن المعاني الباطنية للقرآن، لا تقف عند الحد الذي تصل إليه مداركنا القاصرة، بل هي أمر فوق ما نظن وأعظم مما نتصور.

[22] al-Shāṭibī, *al-Muwāfaqāt*, 3:403.

ومن أمثلة التفسير الإشاري قولهم في قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ﴾ [الطلاق: ٧]، فالآية في نفقة الزوجة، لكن أرباب السلوك يرون فيها إشارة إلى أن الواصل يرشد إلى الله على قدر ما وهبه الله من المعرفة، والسالك يرشد أيضا لكن على قدره، قال ابن عطاء الله في الحكم: "(لينفق ذو سعة من سعته...) الواصلون إليه (ومن قدر عليه رزقه..) السائرون إليه."

وقوله تعالى: ﴿۞إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ﴾ [التوبة: ٦٠]. فالآية في مصارف الزكاة، لكن أرباب السلوك يرون فيها إشارة إلى أن مواهب الله على القلوب لا تكون إلا بتحقيق الفقر والمسكنة لله.

وقد استدل الصوفية لإباحة هذا النوع من التفسير بأدلة واهية؛ إما ضعيفة، أو ساقطة، أو موضوعة، لا يمكن أن يؤخذ منها ولو إلماحة لتجويز مثل هذه الشطحات مع كتاب الله تعالى.

الخاتمة

وبعد، فقد عرضت سريعًا لقضية فهم النص القرآني، وهل نستطيع أن نفهمه بلغته أم بالتأويل لهذه اللغة؟ وهل استطاعت التفاسير المختلفة أن توضح مقصود اللفظ القرآني أم أنها زادت صعوبة فهمه؟ وإذا كان الأمر يقتضي تفسيرًا للفظ فأي تفسير من هذه التفاسير نقبل؟ هل نقبل التفسير اللغوي، أم التفسير بالرأي، أم بالمأثور، أم الإشاري؟

وقد خلص البحث إلى عدة نتائج أهمها:

١. خرجت تفاسير كثيرة لبيان المعنى القرآني تنوعت بين اللغوي وما تفرع عنه من اختلافات بين النحاة في الإعراب وما يترتب عليه من معنى والتأويلي وما شابه من تعصب لمذهب سياسي أو ديني مما أضر بالمعنى القرآني وخفاء دلالته على العامة وكثير من أهل العلم.

٢. اهتم المفسرون عبر مراحل تاريخ هذه الأمة بوضع القواعد المنهجية التي ترسموها في تفاسيرهم، وكشف الباحثون القناع عن أسس هذه المناهج وطرقها. ومرت الحركة التفسيرية بأربعة مراحل (التأسيس- التأصيل- التفريع- التجديد).

٣. إن اللغويين الذين حاولوا تفسير القرآن الكريم بمعزل عن مراعاة السياق الذي استعمل فيه القرآن الكلمة وقعوا في أخطاء جسيمة. وطرحت إشكالية "تأويل القرآن" ويُنادى بإعادة تأويله بشكل مجرّد عن أي سياق

تاريخي، و"السياق" هنا يشمل روايات السنة النبوية والسيرة ومرويات الصحابة ومن تبعهم من أئمة القرون الأولى. في هذه الأجواء تكون "اللغة" من وجهة نظرهم هي المفتاح.

٤. لا يمكن أن نسلِّمَ بهذا الرأي، وذاك الاتجاه، فالقرآن الكريم نصٌّ مختلف عن كافة النصوص التي تناولتها اللغة العربية، إنه نص ملتحم مع السياقات الزمانية والمكانية والحياتية للواقع والحياة.

٥. إنّ القرآن نفسه يرفض فكرة النصّ المجرّد الذي يأتي جملة واحدة، معزولًا عن معترك الحياة وملابساتها، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢﴾ [الفرقان: ٣٢]. فهو بالتحامه هذا بوقائع الدعوة النبوية يثبّتُ فؤاد النبيّ "باتصال الوحي ومداومة نزول القرآن.

٦. لا شك أنه كان هناك فجوة بين لغة النص القرآني الأم ولغة المفسرين بعد ذلك، تفاوتت في مراحلها.

٧. بدأت بعد عصر التدوين والتباعد الزمني واللغوي بين عصر النبوة وعصر التدوين حيث بدأت مرحلة التدوين، ونشطت لتشمل علوم اللغة والنحو والصرف، وكتب الفلسفة، كما تعددت المذاهب الفقهية والعقدية، وهي – ولا شك – تَعجُّ بكثير الآراء، والاختلافات مصحوبًا ذلك كله بالنزعة المذهبية والنعرة التعصبية، كل يميل إلى مذهبه.

٨. التفسير بالرأي ينطوي على خطورة بالغة، ومرد تلك الخطورة راجع إلى خطأ هذا التفسير، الذي يريد صاحبه أن يحمِّل ألفاظ القرآن الكريم على ما اعتقده من معاني اللغة العربية، ويقرر هذا المعنى كونه أحد معاني اللغة العربية دون أن يضع في اعتباره حال المنزَّل عليه القرآن والمخاطب به أيضا.

٩. يرى التفسير الإشاري الصوفي أن للقرآن ظاهرًا وباطنًا، وأن الظاهر للعوام والباطن لا يدركه إلا الخواص وإدراك الخواص هو فيض إلهي ينير بصائرهم، ويكشف لهم عن معارف لدنية مباشرة.

References

Abū ʿUbaydah, Maʿmar ibn al-Muthannā. *Majāz al-Qurʾān*. Cairo: Maktabah al-Khānijī, 1961.

al-Dhahabī, Muḥammad Ḥusayn. *al-Ittijāhāt al-Munḥarifah Fī Tafsīr al-Qurʾān al-Karīm Dawāfiʿuhā Wa Dafʿuhā*. Maktabah Wahbah, n.d.

al-Qushayrī, ʿAbd al-Karīm ibn Hawāzin. *Latāʾif al-Ishārāt*. Cairo: al-Hayʾah al-Miṣriyyah al-ʿĀmmah li al-Kitāb, 2000.

al-Ṣāliḥ, Ṣubḥī. *Mabāḥith Fī ʿUlūm al-Qurʾān*. 24th ed. Dār al-ʿilm li al-Malāyīn, 2000.

al-Shāṭibī, Ibrāhīm ibn Mūsā Abū Isḥāq al-Gharnāṭī. *al-Muwāfaqāt*. Khobar, Saudi Arabia: Dār Ibn ʿAffān, 1997.

al-Sulamī, Muḥammad ibn al-Ḥusayn Abū ʿAbd al-Raḥmān. *Ḥaqāʾiq al-Tafsīr*. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 2001.

al-Suyūṭī, ʿAbd al-Raḥmān ibn Abū Bakr Jalāl al-Dīn. *al-Itqān Fī ʿUlum al-Qurʾān*. Madinah: King Fahd Glorious Quran Printing Complex, n.d.

al-Tikrītī, Sulaymān Naṣīf Jāsim. 'Tafsīr al-Qurʾān al-Karīm ʿalā Ṭarīqat al-Ṣūfiyyah: Haqāʾiq al-Tafsīr Li Abī ʿAbd al-Raḥmān Muḥammad Ibn al-Ḥusayn al-Azdī al-Sulamī (412H)'. Cairo University, 1975.

al-Tustarī, Sahl ibn ʿAbd Allāh. *Tafsīr al-Qurʾān al-ʿAẓīm*. Maṭbaʿah al-Saʿādah, 1908.

al-Zarkashī, Muḥammad ibn ʿAbd Allah Badr al-Dīn. *al-Burhān Fī ʿUlūm al-Qurʾān*. Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Kutub al-ʿArabiyyah, 1957.

Aṣbān, Ibrāhīm. ''Arabiyyat al-Qurʾān al-Karīm'. al-Rābiṭah al-Muḥammadiyyah li'l-ʿUlamāʾ, 2013. https://www.arrabita.ma/blog/عربية-القرآن-الكريم/.

Gibb, Hamilton Alexander Rosskeen, and Johannes Hendrik Kramers. *al-Mawsūʿah al-Islāmiyyah al-Muyassarah*. Edited by Rāshid al-Barāwī. Cairo: The Anglo-Egyptian Bookshop, 1985.

Ibn al-ʿArabī, Muḥammad ibnʿAlī Muḥyi al-Dīn. *Tafsīr al-Qurʾān al-Karīm*. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 2010.

Ibn Fāris, Abū al-Ḥusayn Aḥmad. *Muʿjam Maqāyīs al-Lughah*. Ittihad al-Kitab al-Arabi, 2002.

Ibn Manẓūr, Jamāl al-Dīn Muḥammad. *Lisān al-ʿArab*. Cairo: Dar al-Ma'arif, n.d.

Ibn Taymiyyah, Aḥmad ibn ʿAbd al-Ḥalīm Taqiy al-Dīn. *al-Iklīl Fī al-Mutashābih Wa al-Taʾwīl*. Alexandria, Egypt: Dār al-Īmān, n.d.

Ibn ʿĀshūr, Muḥammad al-Ṭāhir. *al-Taḥrīr Wa al-Tanwīr Min al-Tafsīr*. Tunisia: Dār Suḥnūn li al-Nashr wa al-Tawzīʿ, 1997.

Shāhīn, ʿAbd al-Ṣabūr. *al-ʿArabiyyah Lughat al-ʿUlūm Wa al-Taqniyah*. Dār al-Iʿtiṣām, 1986.

Unknown. *Gharīb al-Qurʾān Fī Shiʿr al-ʿArab: Suʾālāt Nāfiʿ al-Azraq Ilā ʿAbd Allāh Ibn ʿAbbās*. Edited by Aḥmad Naṣr Allah and Muḥammad ʿAbd al-Raḥīm. Muʾassasah al-Kutub al-Thaqāfiyyah, 1993.